﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ * هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [المؤمنون: 35 - 36]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَيْنِ لِما قَبْلَهُما:

الـرَّبـطُ بـينَ استنكار بشريّة المُبـلِّـغ، وبـينَ إنـكـار الـبـعـثِ والمَـعـاد، الّـذي يَطال العباد

لمّا ذَكَر تعالى في الآية السّابقة تحذيرَ المَلَأ لِقومهم من طاعة الرّسول، بحُجّةٍ ساذَجة، وهو أنّه بشرٌ مثلُهم؛ أخبر هنا عن انتقالهم منَ القَدْح في الرّسول إلى القَدْح في مضمون رسالتِه، والطّعن في مفردات الإيمان وأركانه، وعقيدةِ البعثِ والآخرة.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿أَيَعِدُكُمْ﴾: (وعد) أصْلٌ يدُلُّ عَلَى تَرْجيَةٍ بِقَوْلٍ، يُقالُ: وعَدْتُهُ أعِدُهُ وعْدًا، ويَكونُ ذَلِكَ بِخَيْرٍ وشَرٍّ، فأمّا الوَعيدُ فلا يكونُ إلّا بِشَرٍّ، يقولونَ: أوعَدتُهُ بكذا[1]، والوَعْدُ والعِدَةُ يكونان مصدرًا واسمًا، فأمّا العِدَةُ فتُجْمع: عِدات، والوَعدُ لا يُجمع على الصّحيح، والموعِدُ: مَوضِعُ التَّواعُدِ، وهو الميعادُ، ويكون المَوعِد مصدرَ وعَدته، ويكون المَوعد وقتًا للعِدَة، والموعدة أيْضًا: اسْم للعِدَةِ، والميعاد لا يكون إلّا وقتًا أو موضعًا[2]، وخُلْف الوعدِ من أكبر المنهيّات في ديننا، والمقصودُ بالوَعْدِ في الآية: الإخبارُ بِأمْرٍ مُسْتَقْبَلٍ.

2) ﴿مُّخْرَجُونَ﴾: (خرج) أصلٌ يَدُلُّ على النَّفاذِ عنِ الشَّيْءِ، يُقالُ: خَرَجَ يَخْرُجُ خُروجًا، والخُراجُ بالجَسَدِ، والخَراجُ والخَرْجُ: الإتاوَةُ؛ لأنَّهُ مالٌ يُخْرِجُهُ المُعْطي[3]، والخُروجُ: اسمٌ من أسماء يوم القيامةِ، ومنه قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾﴾ [ق: 42]، أي: يَوْمُ يُبْعَثونَ

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (وعد).
(2) الخليل، العين، والأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن منظور، لسان العرب: (وعد).
(3) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (خرج).

فيُخْرَجون منَ الأرْض[1]، والخُروجُ أيضًا: البُروزُ والظُّهورُ، ومنه سُمّي الخوارِج بذلك؛ لِخُروجِهم على النّاسِ[2]، والمقصود بالخروج في الآية: النُّشور مِنَ القبورِ، أيْ: مُخرَجونَ للقيامةِ بقرينةِ السّياقِ[3].

3) ﴿هَيْهَاتَ﴾: كلمةٌ تُستعمَلُ لتبعيدِ الشّيءِ، وقدِ اخْتُلِفَ فيها أهيَ فِعْلٌ أم اسمٌ؟ فجُمهورُ النُّحاةِ ذهبوا إلى أنَّ (هَيْهاتَ) اسْمُ فِعْلٍ للماضي مِنَ البُعْدِ، فمعنى هيهاتَ كذا: بَعُدَ، فيكونُ ما يلي (هَيْهاتَ) فاعلًا، وقيل هي اسمٌ للبُعْدِ، أيْ فهي مصدرٌ جامدٌ، وقيلَ: (هَيهاتَ) ظَرفٌ غيرُ مُتصَرِّفٍ، وهو قولُ المُبَرِّدِ، وفيها لُغاتٌ كثيرةٌ؛ أفصحُها: أنَّها بِهاءَيْنِ وتاءٍ مفتوحةٍ فتحةَ بِناءٍ، وأنَّ تاءَها تَثْبُتُ في الوقْفِ، وقيلَ يوقف عليها هاء، وأنَّها لا تُنَوَّنُ تَنوينَ تَنكيرٍ[4].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

أيعِدُكُم هذا الّذي يدّعي النُّبوّة - وهو بشَرٌ مثلُكم - أنَّكم إذا فارقتم هذه الحياةَ، وصرتُم أمواتًا، وصارت بعضُ أجزاءِ أجسامِكم تُرابًا، وبعضُها عظامًا نَخِرةً، أنَّكم مُخرَجون من قبوركم إلى الحياة مرَّة أُخرى للحساب والجزاء؟ فهذا بَعيدٌ بَعيدٌ جِدًّا ما يَعِدُكم به، مِنَ البَعثِ بَعدَ المَوتِ؛ فلا يكونُ ذلك أبدًا[5].

بيان أنّ هؤلاء القومَ يستبعدون البعثَ بعد الموتِ بالحاحٍ وعدمِ تَروٍّ

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

موقع جملة ﴿أَيَعِدُكُمْ﴾ ممّا قبلها:

جملة ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ﴾ استئنافيّةٌ مسوقةٌ لتقرير ما قبلها

إيضاحُ الجمع بين إنكار الدّعوَى وإنكار مضمونها

(1) ابن منظور، لسان العرب، والزبيديّ، تاج العروس: (خرج).
(2) الرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (خرج).
(3) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 143، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 18/ 53.
(4) الجوهريّ، الصّحاح، وابن سيده، المحكم: (هيه)، والرّاغب، المفردات: (هيهات)، وابن عاشور، التّحرير والتنوير: 18/ 54.
(5) ابن جرير، جامع البيان: 17/ 42، والواحديّ، التّفسير البسيط: 15/ 572، وطنطاويّ، التّفسير الوسيط: 10/ 32.

من زجر المَلَأ لأقوامهم عن اتّباع الرّسول، في قوله: ﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ﴾، فأنكروا بهذه الجملة مضمونَ الرّسالةِ من تقرير البعث، بعد أن أنكروا قبلَها دعوى الرّسالةِ، ويَصِحّ جعلُ الجملةِ استئنافًا بيانيًّا لكيفيّة إنكارهم؟ أو لأسلوب إنكارهم وتنظيرهم في التّشغيب على اتّباعِ الرّسولِ، كأنّ سائلًا سأل: فكيف أنكروا وماذا قالوا في إنكارهم، فأُجيبَ: ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ﴾[1].

معنى الهمزة في ﴿أَيَعِدُكُمْ﴾:

السّخريةُ منَ الحقائق دأبُ المُستكبرين

الهمزة في قوله: ﴿أَيَعِدُكُمْ﴾ للاستفهام الإنكاريّ الاستبعاديّ، فالاستفهامُ ليس على حقيقته في طلب الفهم وإنشاء العِلم، بل هو للتّعجّب والاستهزاء والاستهجان، على طريقة المجاز المُرسل، علاقتُه الإطلاقُ والتّقييد[2].

دلالةُ استعمالِ المضارع ﴿أَيَعِدُكُمْ﴾ في السّياق:

الوعدُ حالٌ في منطوقه، مستقبَلٌ في تحقيقه

استعمال المضارع في قوله: ﴿أَيَعِدُكُمْ﴾؛ للدّلالة على الحال بمنطوق لفظ الوعد ذِهْنًا، والدّلالةِ على الاستقبال بمضمونه وُقوعًا؛ لأنّ الوعد بالشّيء يقع أوّلًا في الذّهن، بطريق الإخبار في الحال، ويقع آخِرًا في الخارج بطريق إيجاده وحصولِه في المستقبل.

نُكْتَةُ تكرارِ أداة التّوكيد:

ما أتعبَ الكافرَ في مقاومتِه لتفاصيلِ الحقائقِ وأنوارِها

تكرارُ أداةِ التّوكيد (أنّ) في قوله: ﴿أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ﴾، تأكيدٌ لـ ﴿أَنَّكُمْ﴾ الأولى، في قوله: ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ﴾؛ لطول الفصل بينَه وبين خبره الّذي هو قوله تعالى: ﴿مُّخْرَجُونَ﴾، و(إذا) في قوله: ﴿إِذَا مِتُّمْ﴾ ظرفٌ متعلّقٌ به، أي: أيَعِدُكُم أنّكم مخرجون من قبوركم أحياءً، كما كنتم أوّلًا إذا متّم وكنتم ترابًا[3].

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 13/ 139، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 133، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 18/ 53.

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 18/ 53.

(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 134.

دلالةُ تقديمِ (التّراب) على (العظام):

يُقدَّم في المناظرات ما هو أشدّ إفحامًا وإلجامًا للخَصْم

قُدِّمَ التّرابُ على العظام في قوله: ﴿وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا﴾؛ تقديمًا للمُتَقدِّم على المُتأخِّر في الزّمن، فالتّرابُ أعتقُ وأقدمُ منَ العظام في دورة تحلّل الأجساد، وهو منتهى تحلّل العظام، وفائدةُ ذلك في السّياق: تثبيتُ حُجّتهم على أتباع الرّسول، بتقديم ما هو أبلغُ في العَجْز والإفحام، فالتّرابُ أنفى لإقامة الهيكل الإنسانيّ وإعادتِه، فاستَحَقَّ التّقديمَ؛ لعَراقته في التّعجيز[1].

دلالةُ استعمال ﴿إِذَا﴾:

لا مناصَ لـلأجساد منَ الزّوال والفناء

إيثارُ التّعبير بـ ﴿إِذَا﴾ الشّرطيّة دون (إنْ)، في قوله: ﴿إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا﴾؛ لاختصاص ﴿إِذَا﴾ بالدّخول على مقطوعِ الحصول، فتَقْتَرِنُ بما هو مُتَحَقِّقٌ مُتَيَقَّنٌ، والموتُ وصيرورةُ الأجسادِ إلى العظام والتّراب واقعٌ حتمًا لا شَكّ فيه[2].

نُكْتَةُ إيرادِ فعلِ الكون بصيغة الماضي:

إفادةُ فعلِ الكونِ تحقيقَ النّسبةِ بينَ المبتدأ والخبر

عُبِّرَ عنِ الكَون في قوله: ﴿وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا﴾ بصيغة الماضي، والمراد ما يؤول إليه في المستقبل؛ لأنّه لمّا كانت ﴿إِذَا﴾ تُفيد الجزمَ بالوقوع، غلب معها لفظُ الماضي؛ لكونه أدَلَّ على الوقوع باعتبار لفظه[3]، وهنا اقترنت بالفعل ﴿مِتُّمْ﴾ والفعل ﴿وَكُنتُمْ﴾، والمُراد بالأوّل الحالُ والاستقبالُ، أي: إذا متّم الآن أو بعدَ ذلك، والمُراد بالثّاني الاستقبالُ، أي: بما تَؤولُ إليه ذواتُكم منَ العظام والتّراب، وهذا جارٍ على أصل ﴿إِذَا﴾، من إفادتها الظّرفيّةَ المستقبليّةَ.

نُكْتَةُ إيثارِ لفظ ﴿مُّخْرَجُونَ﴾، على لفظ (مَبْعوثونَ):

استبعادُ الإخراجِ يستلزمُ استبعادَ البعثِ، وكلاهما قَدَرٌ لا مناصَ منه

أوثِرَ التّعبيرُ بالإخراج، على التّعبير بالبعث، في قوله: ﴿أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ﴾، ولم يقل: (مَبْعوثونَ)؛ لاستبعاد الأدنى بما يستلزمُ

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 134.
(2) السّامرائيّ، معاني النّحو: 4/ 71.
(3) السّامرائيّ، معاني النّحو: 4/ 77.

استبعادَ الأعلى؛ لأنّ البعثَ أعلى منَ الإخراج؛ لاشتماله على الإخراج وزيادة، وهو إعادةُ الأجسادِ منَ العظام والتّراب، وسَوقِها إلى وُجهتِها في أرض المَحشر، فالبعثُ إخراجٌ مع توجيهٍ وسَوْق، والإخراجُ إنفاذٌ للأجساد من حيّز القبورِ، بإحيائِها وإعادتها فقط[1].

دلالة اسم الفعل ﴿هَيْهَاتَ﴾:

تأكيدُ الاستبعادِ باللّفظ والمعنى

﴿هَيْهَاتَ﴾ في قوله: ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾ اسمُ فعلٍ، واسمُ الفعلِ: هو اسمٌ يدلّ على معنى الفعل، فـ﴿هَيْهَاتَ﴾ يدلّ على الحَدَث والزّمن، فهي اسمُ فعلٍ ماضٍ بمعنى بَعُدَ[2]، وليس له اشتقاق؛ لأنّه بمنزلة الأصوات، وفيه زيادةُ معنًى ليس في (بَعُدَ)، وهي أن المتكلّم بلفظ ﴿هَيْهَاتَ﴾، يُخبِر عن اعتقاده استبعادَ ذلكَ الشّيءِ الّذي يُخبِر عن بُعدِه، وكأنّه بمنزلة أن تقول: بَعُدَ جدًّا، وما أبعدَه! وليس على مجرّد أن يُخبِرَ المخاطَبَ بمكان ذلك الشّيءِ في البُعْد فحسب، كما لو قال: (بَعُدَ زَيْدٌ)، الّذي يُفهَم منه حينَئِذٍ أنّه يُخبر عن مكانه في البُعد[3]، وهي نَصٌّ على الاستبعاد باللّفظ، بعدَ النّصّ عليه بالمعنى والمضمون في الاستفهام الاستبعاديّ، في: ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ﴾، فحصل: أنّ التّأكيد بالتّكرار اللّفظيّ في استبعادهم وتلبيسِهم، حاصلٌ في لفظين؛ لفظِ ﴿أَنَّكُمْ﴾، وكرّرها في قوله: ﴿أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ﴾ و﴿أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ﴾، ولفظِ ﴿هَيْهَاتَ﴾، في قوله: ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ﴾[4].

دلالةُ تكرار لفظ ﴿هَيْهَاتَ﴾:

التّكرارُ اللّفظيّ بليغٌ في السّريع الخفيف منَ الألفاظ

مجيءُ قولِه تعالى: ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾، بتكرار لفظ ﴿هَيْهَاتَ﴾؛ لتأكيد الاستبعاد والإغراق فيه، كأنّه قيل: بعُدَ بعُدَ جِدًّا،

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ، ومحمّد جبل، المعجم الاشتقاقيّ: (بعث، خرج).
(2) السّامرائيّ، معاني النّحو: 4/ 41.
(3) الواحديّ، التّفسير البسيط: 15/ 572.
(4) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 143.

بحيثُ صارَ ممتنعًا[1]، و﴿هَيْهَاتَ﴾ كلمةٌ استعملتها العربُ للتّعبير عنِ البُعْد، وهي من جميل ما استعمله القرآنُ الكريم، فكان مناسبًا للسّياق المُستخدَم فيه، ولفظُ ﴿هَيْهَاتَ﴾ يعني: بعيدًا بعيدًا، ومعناه أنّهم قالوا: إنّ هذا البعثَ المَذكورَ في السّياق لا يكون أبدًا؛ ولذلك عبّروا باستبعاد ما يوعَد به العِبادُ[2].

معنى حرف اللّام في ﴿لِمَا تُوعَدُونَ﴾:

مـجـيءُ الـلّـام لغرض التّبيين، مـمّـا يُـفـيـد في البيان المُبين

اللّام في قوله: ﴿لِمَا تُوعَدُونَ﴾ للتّبيين، والمراد: بيانُ الشّيءِ المُستبْعَد، المدلولِ عليه بلفظ: ﴿هَيْهَاتَ﴾، كأنّه لمّا قال: ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ﴾، قيل: لأيّ شيء؟ فقيل: ﴿لِمَا تُوعَدُونَ﴾، أي: البيانُ للمُستبعَد بكلمة الاستبعاد[3]؛ لأنّ كلمة ﴿هَيْهَاتَ﴾، قد يظهر معها الفاعل، كما تقول: بَعُدَ كذا، وهَيْهاتَ مجيءُ زيد، وتارة يُحذف معها الفاعلُ، ويُؤتى بلام البيان؛ للدّلالة على الفاعل المحذوف، كما هو هنا في الآية، والتّقدير: (هيهاتَ الوجودُ لما توعَدون)[4].

دلالةُ (ما) في السّياق المُحكم:

مُـرادُ المُتكلّم مِـن مُـحـدِّدات الـتّـعـيـين والتّخصيص

(ما) في قوله: ﴿لِمَا تُوعَدُونَ﴾ موصولةٌ، وعائدُها محذوفٌ، أي: ما توعدونه، وهي إمّا أنّها تُفيد العمومَ والإبهامَ، فيتناولُ استبعادَ جميعِ مقالاتِ الرّسولِ لهم منَ الأخبار، وإمّا أنّها تُفيد العهدَ، فيرادُ به أمرُ البعثِ المَذكور في: ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ﴾.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الإخراجُ والبَعثُ:

الإخـراج إنـفـاذ الشّيء، والبَعْثُ فـيـه اسـتـفـزازٌ واسـتـثـارة، مع دفْعٍ مُتوالٍ بقوّة

الإخراج: هو إنفاذ الشّيء مِنْ داخِلٍ كان فيه، أو بعدَ إيجادِه

(1) الواحديّ، البسيط: 15/ 572، وابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 143، والبقاعيّ، نظم الدّرر: 13/ 139.
(2) الواحديّ، البسيط: 15/ 572، وابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 143، والبقاعيّ، نظم الدّرر: 13/ 139.
(3) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 187.
(4) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 143.

فيه؛ فالأوّلُ: كإخراج الشّيءِ من صندوقٍ كان فيه، والثّاني: كإخراج النَّبْتِ منَ التُّربةِ بعد إيجاد بذرتِه في داخلها.

وأمّا البَعْثُ: فهو إثارةُ الشّيءِ وتحريكُه إلى وِجْهَتِه.

والفرق بينهما: أنّ البعث فيه استفزازٌ واستثارة، وهو يشتمل على دفْعٍ مُتوالٍ بقوّةٍ، فليس فيه تُؤَدَةٌ أو تباطؤٌ، والإخراج هو إنفاذُ الشّيء، ففيه نوعُ إثارةٍ وتحريك، لكنّه اعتياديٌّ مُطلق، فليس فيه التّحفيزُ الّذي يكون في البعث إلّا بالتّقييد، فيقال: أخرجتُه بقوّة أو باستثارةٍ واستفزاز، كقوله: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا﴾ [المعارج: 43]، فلمّا عبّر عنِ البعث بالخروج؛ قيّده بلفظ ﴿سِرَاعًا﴾ [المعارج: 43]، ولذا قال: ﴿أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ﴾؛ لأنّه خروجٌ هادئٌ بطيء؛ قبلَ التّدافُع للمَحشَر[1].

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ، ومحمّد جبل، المعجم الاشتقاقيّ: (بعث، خرج).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس والثلاثون،
سورة الحَجّ من الآية 51 إلى سورة المؤمنون الآية 63
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس والثلاثون، سورة الحَجّ من الآية 51 إلى سورة المؤمنون الآية 63
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 35 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-77-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 35 : المجلد الخامس والثلاثون، سورة الحَجّ من الآية 51 إلى سورة المؤمنون الآية 63.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-77-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7984898 بتاريخ 2024/11/14م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»